نحن والتضامن العربى

الأهرام: 13-10-1978

بقلم: على حمدى الجمال

وشاهدنا على الساحة العربية نماذج متعددة من الجرائم الخطيرة التى ترتكبها بعض الأنظمة فى حق هذا الشعب العربى أو ذاك، فى حين لجأت معظم الأنظمة العربية الأخرى إلى مواقف سلبية، مكتفية بالتصريحات والخطب التى تنادى بضرورة الحرص على التضامن العربى..

ولم يحاول أحد أن يقول لنا ما هو مفهوم التضامن العربى، وما هو المطلوب منه، وما هى أبعاده..

وللحق أقول- وبكل ثقة وإصرار- أن مصر هى الدولة العربية الوحيدة التى رفضت الإتجار بهذا الشعار، وأصرت على أن المصارحة، ووضع النقط فوق الحروف، وشجاعة الرأى، هى العوامل الرئيسية والأساسية فى المحافظة على التضامن العربى بلا حساسية ولا خوف.. وكفانا ما أضعناه من عمرنا ونحن غارقون فى شعارات شكلت علينا قيوداً، وجمدت تحركنا، وأضاعت علينا فرصا عديدة..

أصرت مصر على ذلك، وأعلنت رأيها، ولم تخف شيئاً .. لم تتصرف كغيرها بأن ما تقوله فى العلن يختلف تماماً عما تقوله فى الاجتماعات والمؤتمرات واللقاءات المغلقة، كانت مصر صادقة وأمينة مع نفسها، ومع الأمة العربية، ومع العالم كله، فى أن مصائر الشعوب لا يمكن أن تحكمها سياسة الوجهين، وسياسة النفاق، التى أصبحت سمة من سمات بعض الأنظمة العربية، وتعرت أمام الشعوب وأصبحت مثارا للتندر والقصص..

وأريد أن أسأل هؤلاء الذين يتباكون اليوم على التضامن العربى أكثر من سؤال، وسوف أكتفى اليوم بالأسئلة التالية:

أولاً : هل الحرص على التضامن العربى يعنى عند بعض النظم العربية مهاجمة اتفاق كامب ديفيد قبل أن يطلعوا عليه أو يناقشوه..

إنهم يكررون نفس التصرف الذى أقدموا عليه عندما وقعت مصر على اتفاق فض الإشتباك الأول. ثم الثانى، ثم بعد زيارة الرئيس السادات التاريخية للقدس..

ولقد ذهب الرئيس السادات إلى دمشق، وأبلغ الرئيس الأسد بقراره بزيارة القدس. وكان من الممكن أن يختلف الإثنان. لكن فى إطار الخلاف المتحضر الذى يحرص فعلا على التضامن العربى..

لكننا- للأسف – لم نتعود أن نتناقش بطريقة متحضرة وموضوعية، ولكن تعودنا دائماً على توجيه الإتهامات والتهجم، والبذاءة، وكلها أمور الإشمئزاز..

لقد هاجوا وماجوا ضد زيارة القدس، وهم فى قرارة أنفسهم جميعا يتمنون أن تنجح وأن تؤدى إلى نتيجة تنهى الصراع الذى فشلنا على مدى ثلاثين عاما أن نتوصل إلى حله، وكاد يصبح أمراً واقعاً لا يمكن تغييره.

أين كان التضامن العربى ومصر تتعرض لبذاءات لم نسمع بها على طول التاريخ حتى بين أكثر الشعوب تخلفا، وأبعدهم عن الحضارة؟

أين كان التضامن العربى والقذافى يعلن عن رصد ملايين الجنيهات للقضاء على النظام المصرى؟

ومع ذلك فمصر بحجمها. وثقلها . ووزنها ، وحضارتها لا ولن تتأثر بهذا الإسفاف. بل تعتبره لونا من ألوان العجز والفشل، والضياع..

ثانياً: ما رأى السادة المتباكين على التضامن العربى فيما يحدث فى لبنان على مدى ثلاث سنوات ...؟

www.anwarsadat.org

هذه المجزرة، وهذا القتل الجماعى، وسفك الدماء .. هل يتفق مع التضامن العربى؟

لقد كانت مصر أول من نادى بأن: "ارفعوا أيديكم عن لبنان" ... فقد استشعرت مصر، بحسها القومى، النوايا وراء الغزو السورى للأراضى اللبنانية.. ومع ذلك سكت الجميع، ولم يروا فيما يحدث فى لبنان أى تعارض مع التضامن العربى!!

وماذا عن دور قوات الردع فى لبنان؟ .. هل ذهبت قوات الردع لتحمى لبنان؟ .. أم لتستعمره، وتقتل أبناءه، وتصفية بهذه الصورة الوحشية البشعة...؟

أن الرئيس اللبنانى إلياس سركيس يدعو هذه الأيام الدول التى تمول قوات الردع لكى تعيد النظر فى دور هذه القوات .. أو بمعنى أصح، لكى تناقش خروجها عن المهمة المكلفة بها.. ونحن فى إنتظار اجتماع هذه الدول فى بيروت والمقرر له يوم الأحد، بعد غد، [إذا اجتمع] .. لنرى ما سوف يتخذ من قرارات فيما يتعلق بدور سوريا على الأراضى اللبنانية.. ولنرى ما إذا كان فيما سوف يتخذونه من قرارات ما يحمل ولو حتى معنى الحرص على التضامن العربى!!

ثم ... ألم يتضح بعد أمام العالم كله، بصفة عامة والعالم العربى بصفة خاصة، حقيقة نوايا البعث السورى فى لبنان..

لقد كان الهدف منذ البداية هو ضم لبنان ..

ولكن تصدى القوى المعادية للوجود السورى كشف عن المخطط، وأفقد قوات الردع السورية شرعية وجودها على الأرض اللبنانية..

والبعث السورى الآن أمام خيارين، كلاهما مر: أما أن يقضى نهائياً على تلك القوى المعادية له .. وأما أن يخرج من لبنان يجر أذيال الخيبة.. وكل ما يرمى إليه البعث السورى الآن هو ضم منطقة البقاع، تحقيقا لحلمه فى الهلال الخصيب!

www.anwarsadat.org

هل سيرضى التضامن العربى بهذا المخطط؟!

والحديث عن البقاع، يجرنا إلى الحديث عن الجولان، وأطرح فى هذا الصدد سؤالا: هل مهمة القوات المسلحة السورية أن تقتل الشعب اللبنانى، وتشتت عائلاته؟... أن هناك عرضا أمام سوريا الآن بإنسحاب إسرائيل من الجولان، ومع ذلك فهى تصم أذانها عنه، لأنها تعلم أن انسحاب اسرائيل من الجولان سيتبعه انسحاب سوريا من لبنان، وهذا أمر يتعارض مع حلم البعث السورى!

ومع ذلك فالحديث عن التضامن العربى يحاول أن يخفى حقائق الموقف، ويتستر على جرائم خطيرة ترتكب بإسم "الوطنية" .. و "الرفض"!!

سوريا تحتل لبنان، وتقتل أهله، ومع ذلك فعندما دخلت القوات الإسرائيلية جنوب لبنان وقفت قوات سوريا تتفرج .. ولما ملأت علامات الاستفهام، والتعجب، السماء العربية لسر الجمود الذى أصاب القوات السورية، جاء الرد المضحك يقول : أن إسرائيل لن تجر سوريا إلى المعركة، فالبعث السورى وحده هو الذى يحدد زمان ومكان المعركة!!

مزايدات .. وتهريج .. وتجارة ..

والغريب أننا لم نسمع من المتحمسين للتضامن العربى صوتا واحدا يرتفع ليسأل السوريين: ماذا فعلتم فى جنوب لبنان؟ .. وماذا أنتم فاعلون بلبنان كله؟؟

هل دور سوريا فى التضامن العربى هو سفك دماء اللبنانيين، والتهجم على مصر؟!

هل دورها إخضاع الفلسطينيين لسيطرتها وشل حركتهم؟

هل المخطط السورى لتحقيق مشروع الهلال الخصيب فيه دعم للتضامن العربى والمستقبل العربى؟!

ثالثاً : ثم يجيء دور العراق.. وهذه الفورة المفاجئة، والحماس الزائد للقضية الفلسطينية

بعد غياب ثلاثين سنة عن المسرح العربى، والوقوف موقف المتفرج من كل المعارك التى خضناها ضد إسرائيل، ينتفض البعث العراقى- وأكرر : البعث العراقى – فى محاولة ليجد لنفسه دورا فى هذه التمثيلية المضحكة التى تجرى الآن ..

وقبل محاولة الكشف عن دوافع بغداد ونظامها الحاكم وراء هذه "الوثبة" الجديدة، أود أن أوجه النظر إلى عدد من الحقائق لابد من تسجيلها:

فى الجولة العربية التى قام بها الأمير فهد، ولى عهد السعودية، قبل حوالى ستة أسابيع، قال له حكام العراق بمنتهى الصراحة والوضوح: نحن لا دور لنا فى هذه القضية – قضية النزاع العربى الإسرائيلى – فامضوا أنتم بما ترونه حلا لها..

منذ أول اجتماع لدول الرفض، انشق العراق عن الرافضين، عندما اكتشف أنه لن يستطيع من خلال هذه التجمع أن يسيطر على البعث السورى، وانسحب من المؤتمر ورفض حضور أى مؤتمر بعد ذلك، واستمر إعلامه إلى يومنا هذا يتهم سوريا، ومن معها، بكل ألوان وأشكال الإتهامات.

البعث العراقى لن يمكن سوريا من السيطرة الكاملة على لبنان، والأردن، وفلسطين، وهو على استعداد للذهاب إلى أبعد مدى لمنع البعث السورى من تحقيق مخططه .. والعرب كلهم يعلمون هذه الحقيقة، ورغم ذلك نسمع الحديث يتردد عن التضامن العربى..

وفى ضوء كل هذه الحقائق يقوم العراق بالدعوة إلى مؤتمر عربى للقمة، يوافق على حضوره عدد من الدول العربية تحت شعار: التضامن العربى .. رغم إدراكهم جميعا أن الهد من المؤتمر ليس القضية العربية، ولا القضية الفلسطينية، ولكنه أساساً وأصلا: تحقيق مآرب البعث العراقى..

وأسأل: إذا كان البعث العراقى يسعى حقيقة لما فيه صالح القضية الفلسطينية فلماذا شكل منظمة فلسطينية تقتل كل أعوان ورجال منظمة تحرير فلسطين؟.. ولماذا

رفض المشاركة فى الجهد العربى الذى كان يعرضه الأمير فهد، ولى عهد السعودية؟.. وهل كف عن أطماعه فى الكويت؟.. وما هو رأيه فى الوجود السورى فى لبنان؟

فدعوة البعث العراقى لمؤتمر قمة عربى أذن، والكرم المفاجىء الذى أصابه أخيراً فى وضع بلايينه من البترول فى خدمة المعركة، لا يمكن أن يكون المقصود به وجه الله الكريم .. أو وجه التضامن العربى والقضية العربية.. أنه فقط لوجه البعث العراقى، ودعم مركزه داخلياً، وضرب كل القوى المعادية له من جيرانه، وأولهم البعث السورى..

رابعاً: ماذا كان دور ليبيا فى التضامن العربى منذ أن ظهر القذافى – فى غفلة من الزمن – على المسرح السياسى العربى ...؟

- حملات مستمرة على دول البترول العربى، وفى مقدمتها السعودية والإمارات ..
- تآمر على كل الأنظمة العربية بلا استثناء..
- نظريات اقتصادية تكشف عمن يحركه ويستغله لحسابه لطعن العرب من ظهورهم..

ولعل أحدث نموذج لنوعية تصرفات القذافى القصة الغامضة وراء اختفاء الإمام موسى الصدر..

لقد سعى القذافى لكى يستغل رفض الإمام موسى الصدر للوجود السورى فى لبنان بأن يساعده فى إثارة القلاقل فى جنوب لبنان، ورفض إمام الشيعة فى لبنان تنفيذ هذا المخطط فغضب عليه القذافى.. وغضب القذافى ورضاؤه يتمثلان فى "التمويل"..

وساءت العلاقات بين الإثنين ثم تدخل الوسطاء للصلح، ورفض الإمام موسى الصدر الوساطة، وأخيراً، وتحت إلحاح، ووعد بالأمان، قبل الذهاب إلى ليبيا .. ثم أختفى!

فهل ما زال حيا؟.. أم أنهم تخلصوا منه؟! .. علم هذا عند الله .. فالمنظمة التى أعلنت مسئوليتها عن اختفاء الإمام موسى الصدر، ليست إلا المخابرات الليبية، فى

www.anwarsadat.org

محاولة لإبعاد التهمة عن القذافى .. وكل الذين عاونوا فى تنفيذ هذه المؤامرة قبضوا الثمن واختفوا..

هذا هو دور القذاى فى المنطقة .. سلسلة من التآمر ضد الجميع، حتى من يزاملونه فى جبهة الرافضين .. وأولهم سوريا..

أين التضامن العربى هنا؟

ما هو رأى تونس فى القذافى؟

وما هو رأى بومدين فى العقيد؟

وما رأى دول الخليج كلها وبلا استثناء فيه؟

بل أذهب إلى أبعد من ذلك وأسأل: ما هو رأى قادة منظمة تحرير فلسطين فى سياسة القذافى وتصرفاته؟

صورة غريبة .. ومع ذلك يتحدثون عن التضامن العربى!!

خامساً: ما هو دور الجزائر أو دور هوارى بومدين فى ظل هذه التمثيلية؟ وماذا قدم بومدين للقضية الفسلطينية منذ قام بإنقلابه ضد بن بيللا؟

والجواب: لا شىء يذكر على الإطلاق ..

إذن لماذا هذا الحماس وهذا الأسفاف المؤسف فى صحافته ضد مصر؟

السبب إقليمى بحت ... بومدين يخشى جنون القذافى لذلك فهو يجاريه فى جنونه .. ويريد ابتلاع الصحراء عن طريق البحث عن مؤيدين له .. وقد انتهز فرصة قيام جبهة الرفض وحاول أن يركب موجتها لكى تؤيده فى نزاعه مع المغرب!!

وإذا كانت هذه الجبهة بكل ما تمثله من تنقضات وخلافات وحساسيات لم تستطع أن تحقق أغراضها الإقليمية فكيف يمكنها أن تحقق أغراض بومدين؟

سادساً : تبقى منظمة تحرير فلسطين .. والمنظمة بلا شك قد تاهت ، وضلت الطريق، وسلمت قيادها للبعث السورى يتلاعب بها، ويتاجر بقضيتها، ويتخذها سلاحا يحارب به قضيته قضية البعث السورى وليس أى قضية أخرى..

ومن اليقين أن قيادة منظمة التحرير مؤمنة بأن دول الرفض جميعها لن تستطيع أن تفيدها بشئ، بل لا تريد أن تفيدها بشىء .. والجميع يعلمون أن تصريحاتهم، وخطبهم، محاولة بائسة لإخفاء الموقف الحقيقى، والتيارات المريبة التى تجتاح المنظمة من الداخل.

سوريا لن تحارب معركة الفلسطينيين لأن معركتها الحقيقية ضدهم .. والتاريخ القريب شاهد على ذلك ..

والعراق لن يحارب معركتهم فمعركته الحقيقية مع البعث السورى..

وليبيا تحارب كل العرب..

وبومدين يحارب المغرب وليبيا من خلال المنظمة ..

سابعاً : أين يقف الإتحاد السوفيتى من هؤلاء جميعا بالرغم من أنهم يهرعون إليه الآن .. يتسابقون لخطب وده!

ولا أحسبنى أضيف جديد لكل هؤلاء عندما أقول لهم

- إن الإتحاد السوفيتى لا يثق فى النظام السورى..
- وهو أيضاً يمقت .. إلى درجة العداء النظام العراقى ..
- ورأى موسكو فى القذافى – طفله المدلل ظاهرياً – مدون ومسجل..
- ونظرته إلى حل القضية الفلسطينية لا تخفى على أحد ..

ويجب هذا كله سياسة الاتحاد السوفيتى تجاه المنطقة العربية كلها..

إن الإتحاد السوفيتى يرفض أى وحدة أو اتحاد عربى .. وأظننا لم ننس ما فعله خروشوف أيام الوحدة المصرية السورية..

www.anwarsadat.org

إن الإتحاد السوفيتى يسيئه أن يرى أى تضامن عربى حقيقى بأى أسلوب من الأساليب لأنه يتعارض مع مصلحته فى المنطقة ومع عقيدته السياسية..

إن الإتحاد السوفيتى يؤيد دولة اسرائيل .. وموقف موسكو مع مصر أيام حرب الاستنزاف .. وقبل وبعد حرب أكتوبر مؤشر هام إلى حقيقة موقف السوفييت من القضية الفلسطينية..

وبعد ..

إننى لست ضد التضامن العربى، بل العكس هو الصحيح .. ولكنى أومن بأن التضامن العربى الظاهرى الصحيح .. ولكنى أومن بأن التضامن العربى الظاهرى والمسرحى أخطر على العرب من خلافاتهم مهما تبلغ حدتها.

وإذا كان العرب جادين فى تحقيق تضامنهم فعليهم أن يواجهوا الموقف بشجاعة وقوة. أ، الطبيب الجراح، الذى يفتح "خراجا" فى جسم مريض، ينظفه أولا من كل ما يؤدى إلى التهابه، ثم بعد ذلك يفتحه.

والعرب اليوم فى حاجة إلى هذه العملية الجراحية، فى حاجة إلى أن يصارحوا أنفسهم، وأن يعلنوا عن رغباتهم بأسلوب الرجال.

وهذا هو ما فعلته مصر.. أعلنت مصر عن رأيها بشجاعة وثقة وبأسلوب حضارى لا التواء فيه ولا غرض..

ومصر – كما قال الرئيس أنور السادات – لن تترك مصيرها فى أيدى الصغار فمستقبل الشعوب العربية، بل مستقبل المنطقة كلها، لا يمكن أن يتحكم فيه المرايدون وتجار السياسة والعملاء ..

وإذ كان العرب جادين فى سعيهم للتضامن العربى فالطريق أمامهم واضح، والأبواب مفتوحة، والفرصة متاحة..

أما إذا كانوا يهزلون فلتتحمل كل دولة مسئولية هذا الهزل..

www.anwarsadat.org

أن الموقف الآن فى حاجة إلى العمالقة، ولا مكان فيه للأقزام..

أننا نؤمن بالتضامن العربى، بشرط أن يكون تضامن رجال، لا عبث أطفال..

www.anwarsadat.org